ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

واقع التعليم في الجزائر
أواخر العهد العثماني

د. حميد أيت حبوش
أستاذ محاضر التاريخ الحديث والمعاصر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

تجمع معظم المصادر المحلية أن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني منتشرًا انتشارًا واسعًا حتى غطى كل المناطق بما في ذلك القرى والمداشر، رغم أن السلطة العثمانية ركّزت فقط على المحافظة على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لبيت المال، كما لم يكن لها سياسة تعليمية ولا خطة أو برنامج رسمي لتشجيع التعليم وتطويره أو العناية بأهله، ولم تتدخل في شؤون التعليم باستثناء بعض البايات مثل: محمد الكبير وصالح باي. فالتعليم إذن كان خاصًا يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية، فالآباء هم الذين كانوا يسهرون على تعليم أطفالهم. ولم تكن مهنة التعليم من المهن المرغوب فيها أو المربحة خلال العهد العثماني، إلا أنها تجلب إليه عطف الناس وإحسانهم واحترامهم المعنوي.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٢٢ يناير ٢٠١٥
تاريخ قبول النشر: ٢٧ أبريل ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
مؤسسات التعليم، العهد العثماني، محمد الكبير، صالح باي، الأوقاف، الشيوخ، المعلمون

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0045083

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
حميد أيت حبوش. "واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني".- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة- العدد السابع والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٧. ص٢٦ – ٣١.

مُقَدِّمَةٌ

تجمع معظم المصادر المحلية أن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني منتشر انتشارًا واسعًا حتى غطى كل المناطق بما في ذلك القرى والمداشر، رغم أن السلطة العثمانية ركّزت فقط على المحافظة على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لبيت المال ولم تتدخل في شؤون التعليم باستثناء بعض البايات مثل: محمد الكبير وصالح باي. وموضوع التعليم في الجزائر لم يحظى بالقسط نفسه من التعمق والبحث التاريخي الذي حظيت به الأوضاع العسكرية والسياسية خلال العهد العثماني، باستثناء بعض الإشارات والتلميحات التي أفردها مؤرخو هذه الفترة في مؤلفاتهم، من بينهم الأستاذ أبو القاسم سعد الله في مؤلفه بعنوان: "تاريخ الجزائر الثقافي"، وحتى هذه الإشارات لا تعطي لنا النظرة الشاملة والعامة حول واقع التعليم في الجزائر من خلال مدى انتشاره في كل ربوع الوطن، ومؤسساته، وسائله ومستواه الذي كان يختلف من جهة إلى أخرى، فكانت تتحكم فيه الأوضاع العامة للبلاد، فالتعليم بصفة عامة كان مزدهرًا نسبيًا قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ١٨٣٠م، وأن الميل إلى العلم والمعرفة كان متأصلاً في نفوس الجزائريين. لذا فهذا الموضوع يستحق الدراسة باعتباره حلقة ضائعة لاستكمال النظرة الشاملة للفترة العثمانية في الجزائر خاصةً في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

أولاً: مؤسسات التعليم

١/١- الأوقاف:[١]

يستعمل الوقف في أغراض كثيرة، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة، والفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل، وكذلك العناية بنشر وتدريس المذهب الحنفي العثماني. الوقف بالنسبة للدولة هو بمثابة وزارة الثقافة والتعليم والدين والشؤون الاجتماعية مجتمعة اليوم رغم أنه لم يكن هناك وزارة بهذا العنوان ولا بهذا المحتوى الشامل.[٢] ومن أشهر مؤسسات الوقف الجماعية:

- إدارة سبل الخيرات الحنفية: لقد ساهمت بإنشاء المدارس ودفع مرتبات لحوالي ثمانية وثمانين طالبًا.[٣]
- إدارة أوقاف مكة والمدينة:[٤] هذه المؤسسة لها أهمية اجتماعية وتعليمية واقتصادية وحتى السياسية.

كما ساهمت الأوقاف الأخرى التي هي منتشرة بكثرة في كافة المناطق الجزائرية، في بناء المدارس وتشجيع التعليم. إذا كانت مؤسسة الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني قامت بنشر التعليم الديني ورعاية المجتمع، غير أن هناك عوامل أخرى تدخلت فجعلت الأوقاف غير فعالة في خدمة التعليم والنهوض بالمجتمع، كما ساعدت على نشر الغموض والتصوف والشعوذة ومظاهر التخلف الاجتماعي.[٥]

٢/١- المساجد:

إن العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم فلا تكاد تجد قرية أوحيًا في المدينة بدون مسجد. فالمسجد في العهد العثماني كان ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية.[٦] وحسب ديفوكس الذي بحث موضوع المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر أن عددها عشية الاحتلال وصل إلى مائة وست وسبعون مؤسسة.[٧] في معظم المساجد أو الجوامع توجد المكتبات الموقوفة على القراء والطلبة والأساتذة، تحتوي على كتب في العلوم المختلفة من أدب وطب وفقه وتاريخ ورياضيات وغيرها.[٨] ولقد خصص محمد بن عثمان والد محمد الكبير لجامع العين البيضاء الذي بناه بمعسكر وقفية تضمنت ما يلي: أربعة (٤) سلطانية ذهبًا للطلبة الذين يحضرون درس صحيح البخاري في كل سنة، أربعون (٤٠) ريالاً لمدرّس صحيح البخاري، ستون (٦٠) ريالاً لكل مدرّس في الفقه وغيره.[٩] ولقد اشترك في تأسيس هذه المساجد التي لا تعد ولا تحصى الأهالي والعثمانيون على السواء، وكان اهتمامهم ببناء المساجد لدوافع دينية محضة كما جعلوها لخدمة المذهب الحنفي، بل أن وظيفة المدرس عندهم كانت لا تخرج عن ذلك أيضًا.[١٠]

٣/١- الزوايا:

إن أبرز ميزة عرفها العهد العثماني في الجزائر، انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المتخصصة لها. ففي مدينة الجزائر نجد عدد كبير من الزوايا، أهمها زاوية عبد الرحمن الثعالبي وزاوية عبد القادر الجيلالي.[١١] وفي مدينة قسنطينة بلغ عددها ستة عشرة زاوية، أهمها زاوية سيدي عبد المؤمن، سيدي الكتاني وغيرها. كما اشتهرت أيضا تلمسان وضواحيها بزواياها نذكر منها زاوية سيدي الطيب، زاوية بومدين،[١٢] وأشهرها زاوية عين الحوت. بينما منطقة القبائل تعتبر من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، وصل عددها خمسين زاوية، أهمها زاوية تيزي راشد المشهورة يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة، وممَنْ تخرجوا منها محمد الفريرا الذي تولى ولاية التيطري، وأيضًا زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية أخرجت أجيالاً من المعلمين وكانت تضم أكثر من مائتي طالب.[١٣] وكانت للزوايا الريفية دور إيجابي في نشر التعليم، غير أن معظم زوايا المدن كانت معطلة عن التعليم لوجود الكتاتيب من جهة والمساجد والمدارس المتخصصة من جهة أخرى.[١٤]

٤/١- المدارس والمعاهد العليا:

كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية في المدن وحتى في القرى وهذا ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني يبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان.[١٥] وخير شاهد على هذا الانتشار كتابات الأوروبيين أنفسهم التي أثبتت أنه غداة الاحتلال كان عدد المتعلمين في الجزائر يفوق عدد المتعلمين في فرنسا، ففي عام ١٨٣٦ كتب بيليسي Pellissier de Rexnard[١٦] يقول: "إن التعليم الأولي منتشر بينهم بقدر انتشاره عندنا. ففي معظم القرى والبلديات مدارس للقراءة والكتابة، ووصل عدد التلاميذ إلى ثلاثة آلاف تلميذ في كل مقاطعة، من بينهم ٨٠٠ تلميذ يصلون إلى دراسة علوم الحقوق (الفقه) والشريعة ويحصلون على لقب علماء"[١٧] وكانت تلمسان مشهورة بوفرة المدارس والعلماء، فالفرنسيين قد وجدوا فيها بعد احتلالها خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي.

أما في قسنطينة كان عدد المدارس الابتدائية عند دخول الفرنسيين حوالي تسعين مدرسة، أما التعليم الثانوي والعالي هناك سبع مدارس.[١٨] وفي العاصمة، حسب فانتور ديبارادي، هناك ثلاث جامعات لتعليم المذهب المالكي وهي مدارس عليا.[١٩] بينما المدارس الابتدائية والثانوية عددها مائة، إضافة إلى وجود كتاتيب التي خصصت عادة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال.[٢٠] أما في المدرسة الابتدائية فالتلميذ يتعلم مبادئ العلوم ويتلقى رصيدا من المعارف التي تساعده على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها عندما يبلغ عادة الرابع عشرة سنة.[٢١] ومن أشهر المدارس في العاصمة، المدرسة القشاشية، التي ساهمت مساهمة كبيرة في نشر التعليم الابتدائي والثانوي وحتى العالي، وبعد احتلال فرنسا للجزائر حولوها إلى مخازن الجيش سنة ١٨٣١ وأيضًا مدرسة الأندلسيين، فالتعليم فيها كان على مستوى راق لأن الأندلسيين يتقنون فن التدريس وحسن التربية ومراعاة التطور العقلي للتلميذ.[٢٢]

ويعتبر الجامع الكبير بالجزائر العاصمة ومدرسته العليا نواة جامعة الجزائر، ففي الجامع كانت الدروس كثيرة يقوم بها أبرز العلماء، أشهرهم سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار وغيرهم، وقد كلف هذا الجامع خمسة عشرة ألف دينار جزائري بعملة ذلك الوقت.[٢٣] وكانت قسنطينة من أكثر المدن اهتمام بالمؤسسات العلمية وذلك لاستقرارها السياسي نسبيًا ولقربها من

تونس ومن أشهر مدارسها، المدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي التي خصص لها أوقافًا كبيرة، فقد كان المدرس بها يأخذ ثلاثين ريالا والطالب الداخلي يأخذ ستة ريالات، وهذه المدرسة العليا تنشر تعليما في مستوى الثانوي والعالي وهناك من يقارنها بمدارس فرنسا العليا المعاصرة لها، ولعبت دورًا كبيرًا في الحياة الثقافية في الجزائر حتى في العهد الفرنسي، وهي ما تزال فاتحة إلى اليوم تؤدي نفس المهمة مع اختلاف الظروف.[٢٤]

أما مدرسة مازونة، فقد كانت على درجة كبيرة من الأهمية في الجهة الغربية من البلاد وهي من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني وقد اشتهرت بالخصوص في علم الفقه والحديث وعلم الكلام واستمرت المدرسة حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران، وكانت مقصد طلاب النواحي الغربية، لاسيما ندرومة، مستغانم، تلمسان، سيدي بلعباس، تنس ووهران ومن أبرز خريجيها، أبوراس الناصري[٢٥] الذي تحدث عن شيوخه فيها في رحلته (فتح الإله).[٢٦]

ثانيًا: وسائل التعليم

لا يمكن أن يقوم التعليم إلا إذا توفرت لديه الشروط والوسائل الضرورية كالعناصر المادية والبشرية.

١/٢- المعلمون:

كانت حركة المعلمين داخل الجزائر جد نشيطة ومستمرة، ذلك أن تكوين المعلمين لم يكن له مدرسة أو مدينة معينة، فقد كانت شهرة المعلم أو المدرس هي التي تحدد مكانه وكان الطلاب يقصدون المدرس المشتهر أينما حل وأينما وجد ولو كان ذلك بعيدًا.[٢٧] وكان أولياء التلاميذ هم الذين يختارون مؤدب أطفالهم، وكان من حقهم ومن صلاحياتهم إعفاء المؤدب من وظيفته، إذا اشتبه فيه علميا وأخلاقيا خاصة، واختيار غيره لأنهم هم الذين عينوه ونصبوه للمهمة التربوية والعلمية فالمؤدب يخضع لرقابة أولياء التلاميذ والرأي العام وليس لرقابة الحكومة.[٢٨]

وكان التعليم عند بعض رجال التصوف وخصوصا في الريف نوعا من العبادة والجهاد.[٢٩] أما أجور هؤلاء المعلمين، فكانوا يتلقونها في شكل هدايا وصدقات كالحلوى والملابس في مناسبات معينة ودينية كشهر رمضان، العيدين وعاشوراء.[٣٠] وكانت مصدر هذه الهدايا والأجور هي الأوقاف، بينما الباي محمد الكبير خصص رواتب شهرية للأساتذة بقطع النظر عن الأوقاف، من ميزانية الولاية.[٣١] كما يتولى بعض المدرسين الأساتذة وظائف أخرى كوكالة الوقف والإمامة والخطابة والقضاء ونحوها، وكانوا يجنون من ذلك أموالاً هامة، تتراوح رواتبهم السنوية من الأوقاف بين مائة ومائتي فرنك.[٣٢]

٢/٢- التلاميذ:

تتراوح أعمار التلاميذ المترددين على الكتاتيب والمدارس الابتدائية بين السادسة والرابعة عشرة، وفي هذا السن الأخير يكون التلميذ تعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين والحساب، وقد يصبح مساعدًا للمؤدب في تعليم الأطفال الأصغر منه سنًا.[٣٣] وكان عدد التلاميذ في كل مدرسة يتراوح بين العشرين والثلاثين، ففي تلمسان هناك خمسين مدرسة تحتوي على نحو ألفي تلميذ.[٣٤] بينما في قسنطينة هناك تسعين مدرسة ابتدائية يزاولها حوالي ١٣٥٠ تلميذ.[٣٥] والعدد نفسه تقريبًا موجود في الجزائر العاصمة. وبهذا نستنتج أن كل الأطفال في سن الدراسة كانوا يجدون مقاعدهم في هذه المدارس. أما البنات حسب شالر الذي عاش في الجزائر يتعلمن في مدارس تشرف على إدارتها نساء.[٣٦] ويشمل تعليم البنات على العموم القراءة والكتابة والقرآن الكريم وقواعد الدين والسلوك. أما في التعليم الثانوي، وصل عدد الطلبة إلى ما بين ألفين وثلاثة آلاف طالب في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة، أي بين ستة وتسعة آلاف طالب في القطر كله.[٣٧] وفي التعليم العالي، يتراوح عدد الطلبة بين ستمائة وثمانمائة طالب في كل إقليم، أي بين ألف وثمانمائة وألفين وأربعمائة طالب في كل قطر.[٣٨]

٣/٢- الكتب والمكتبات:

لا يكون التعليم نشيطًا ومتطورًا إلا إذا توفرت مجموعة كبيرة من الكتب والمكتبات. فقد كانت في الجزائر في العهد العثماني كتبًا عديدة تحتوي على أغلب الاختصاصات وخاصةً الدينية، وكانت على شكل مخطوطات قديمة ونادرة اهتم أصحابها بجمعها من مناطق مختلفة خاصةً في المشرق العربي والأندلس أثناء رحلاتهم وتنقلاتهم وزياراتهم العلمية وكذلك أثناء حجهم.[٣٩] ويعترف الفرنسيون أنفسهم بوفرة الكتب والمكتبات في الجزائر، فراحوا يجمعون هذه الكتب والمخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية التي وقعت في أيدي الاحتلال، وحتى البعيدة منها فقد وصلها الفرنسيون لاقتناء كتبها مقابل أثمان زهيدة أو بعض الهدايا أو نهبها.[٤٠]

وإذا كانت بعض الكتب تستورد من الخارج، فقد كانت تنتج كذلك محليًا أي في الجزائر عن طريق التأليف والنسخ، واشتهرت عدة مدن في الجزائر باهتمامها بجمع الكتب وتصنيفها وإنشاء مكتبات وهذه المدن هي تلمسان، قسنطينة، بجاية، مازونة، الجزائر العاصمة، معسكر كما كانت بعض المدن ذات مكتبات تضم مجموعة من الكتب العلمية والآلات الجهادية كمدينة وهران أي أنها كانت تضم مكتبة ومتحفا في الوقت نفسه.[٤١] وكثرة الكتب والمكتبات دليل على اهتمام وعناية الجزائريين لها لاقتنائها والاستفادة منها. فقد ذكر أحد الكتاب الفرنسيين، لالوي أن المخططات التي جمعها بيربروجر من قسنطينة كانت جميلة في الشكل والتجليد وأنها كانت واردة من مصر وتركيا.[٤٢]

وكانت المكتبات تنقسم في الجزائر إلى عامة وخاصةً[٤٣]، وكانت هذه المكتبات مفتوحة للطلبة ولجمع الناس بشتى شرائحهم الاجتماعية بالطريقة نفسها التي تتم بها الأوقاف فكان يوقف الكتاب في سبيل لله على الطلبة وجميع القراء المسلمين.[٤٤] أما محتويات هذه الكتب تشمل كتب التفاسير والقراءات والأحاديث النبوية وشروحها وكتب الفقه والأصول والتوحيد والمصاحف، وغيرها، كما تشمل كذلك على الكتب العقلية واللغوية كالنحو، الأدب، الفلسفة، التاريخ والجغرافيا والمنطق وغيرها، إلا أن الكتب العلمية كانت قليلة مثل الحساب والطب والفلك... ولا غرابة من ذلك لأن طبيعة العهد العثماني كانت فيه السيادة والأولوية للعلوم الدينية.[٤٥]

ثالثًا: مناهج التعليم

١/٣- في الابتدائي:

كان التعليم في المرحلة الابتدائية يقتصر على تعليم القراءة والكتابة وإتقانها تمهيدًا لحفظ القرآن الكريم ثم تعليم المبادئ الأساسية والأولوية للحساب. وكانت طريقة التدريس بسيطة ببساطة التعليم نفسه، فالمؤدب كان يجلس في صدر الكتاب متربعا على حصير مسندًا ظهره إلى الجدار وبيده عصا طويلة يستعين بها لحفظ النظام ولإثارة انتباه الطلبة.[٤٦] وعند الإملاء يملي المؤدب بصوت عال على التلاميذ. وكان هؤلاء التلاميذ يتحلقون حول المؤدب في نصف دائرة وبيد كل واحد لوحة من خشب يمكن الكتابة عليها ومحو ما كُتب بسهولة، وعلى كل لوحة تكتب بوضوح سورة من القرآن الكريم، ثم يقوم بقية التلاميذ بنقلها بعناية كل على لوحته بالتوالي، والتلميذ الذي يتعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها يقوم بتعليم ذلك للتلاميذ الآخرين.[٤٧]

وكانت طرق التعليم جيدة ومناسبة، مع بساطة التعليم ومادته الثقافية، تراعي تطور قدرات التلميذ على القراءة والكتابة لأنها تجعله يتعلم الطريقتين في آن واحد، ويعترف شالر نفسه بجدية هذه الطريقة نظرا لوجود الوحدة فيها وجمال خطها العربي.[٤٨] ولقد أشاد عدد كبير من المؤلفين بالطريقة البيداغوجية الجيدة التي كانت متبعة في هذا المستوى من التعليم، وكانت العلاقة جيدة بين التلميذ والمعلم، وهي تقوم على مبدأ الاحترام الكبير، حتى من طرف المجتمع كله، وتظل هذه العلاقة محفوظة حتى عندما يصبح التلميذ رجلاً مسئولاً فهو دائمًا ينظر إلى مؤدبه نظرة احترام، فهو بمثابة والده الروحي.[٤٩]

٢/٣- في الثانوي:

لقد كان التعليم الثانوي والعالي مجانًا، بل يحصل كل طالب على منحة مالية إلى جانب السكن والأكل إن كان بعيدًا، ويتم التعليم في المساجد الكبرى وبعض الزوايا من بينها:

-في الغرب: الجامع الكبير في تلمسان، جامع سيدي العربي.

-في الجزائر العاصمة: زاوية القليعة، زاوية مليانة، زاوية بن محي الدين وزاوية بني سليمان والجامع الأعظم.

-في الشرق: جامع سيدي الأخضر بقسنطينة، زاوية سيدي عقبة ببسكرة، زاوية ابن علي الشريف في القبائل وبعض المساجد بوادي مزاب بالصحراء.[٥٠]

والمدرس حر في وضع البرنامج الدراسي وفي تحديد أوقات التدريس في الغالب، فبعضهم كان يعد دروسه في الصيف ويلقيها في الشتاء، وكانت ميزة الدروس في التعليم الثانوي والعالي هي الشرح والإملاء أما ميزة المدرس أو الأستاذ فهي الحفظ والرواية، فالمدرس الكفء هو الحافظ لعدة علوم مع أسانيدها، وليس المراد حفظ المتون ونحوها بل حفظ بعض الكتب كاملة.[٥١] فقد كانت الإجازة (الشهادة) المكتوبة في البداية محددة ومقننة فلا يتحصل عليها أي طالب، ولكن بمرور الوقت وضعف التعليم والتعلم وتدهور الحياة العقلية بصفة عامة أصبح منح الإجازات سهلاً وشائعًا.[٥٢]

وكما كان مستوى التعليم بين الأساتذة والطلبة في الحواضر أحسن من البوادي، بحكم وفرة الكتب وحركة العلماء، وكثرة الاختلاط والتنافس على الوظائف. فأبوراس الناصري قد عاد من الريف إلى معسكر لأن التعليم فيها كان أقوى منه في الريف الذي لم يجد فيه ضالته، بل كاد يقتل فيه موهبته. ولا شك أن مستوى التعليم في الحاضرة لم يكن في درجة عالية أيضًا، ولكن الأمور تقاس بنسبتها إلى غيرها.[٥٣] أما المواد المدروسة في البرنامج الثانوية والعالمية كانت مقتصرة على العلوم الدينية واللغوية والتاريخ بينما العلوم الأخرى لم تكن متطورة وهي محدودة مثل الحساب، الوثائق، علم الفلك، الطب والصيدلية. ولعل عدم توسع الجزائريين في هذه العلوم هوما جعل بعض الملاحظين الأجانب يهاجمون بشدة التعليم الجزائري في العهد العثماني ولا شك أن هجومهم فيه كثير من الحقيقة.[٥٤]

مشاهير وأكبر العلماء، والأدباء والمدرسين الجزائريين في العهد العثماني	
خلال فترة الدايات	
المشاهير	الفترة الزمنية بالهجرية
محمد بن أحمد ساسي البوني	١١١٦ هـ
أحمد بن عثمان التلمساني	١١٥١ هـ
محمد بن حواء المستغانمي	١١٧٩ هـ
علي بن محمد الجزائري	١١٨٥ هـ
محمد أمزيان المليانى	١١٩٩ هـ
عبد الرحمن باش تارزي	١٢٢٢ هـ
محمد بن علي الطلحي	١٢٣٢ هـ
أبومنصور عمار الشريف	١٢٤١ هـ
محمد الصالح بن سليماني الزواوي	١٢٤٢ هـ
عمار بن شريط القسنطيني	١٢٥٠ هـ
أحمد الطيب بن محمد الصالح الزواوي	١٢٥١ هـ
أبوطالب الغريسي	١٢٥٧ هـ
أحمد بن عمار الجزائري	١٢٧٠ هـ
أبوعزة التلمساني	١٢٧٧ هـ

خَاتِمَةٌ

إن انتشار حركة التعليم وازدهارها في الجزائر أواخر العهد العثماني، معترف به حتى من طرف الفرنسيين أثناء الاحتلال، إلا أنه يبقى تعليمًا دينيًا بسيطًا وأوليًا، يعتمد فقط على القراءة والكتابة ولا يخرج في مجمله عن تعليم القرآن الكريم وحفظه، فهولا يقدم كثيرًا لأمة ولا يحرك آمال الشباب ولا يثير فضولهم على عوالم جديدة وأفكار حرة. كما أن لم يكن للعثمانيين في الجزائر سياسية تعليمية ولا خطة أو برنامج رسمي لتشجيع التعليم وتطويره أو العناية بأهله، وإنما كان تعليما خاصا يخضع للمبادرات الفردية والعائلية والمؤسسات الإسلامية الخيرية ومن ذوي البر والإحسان وكانت تغذيه الأوقاف التي تعتبر مصدر تمويله الأول. والهدف العام من التعليم هو ديني وليس دنيوي ما دام العلم لا يؤهل لأعمال اجتماعية وسياسية واقتصادية بارزة.

الهَوامِشُ

(١) هي مؤسسات خيرية تهدف إلى تحسين أوضاع الفقراء والتخفيف من مصائبهم، تسير حسب المذهب المالكي والمذهب الحنفي، أكثر تفاصيل انظر إلى حمدان خوجة، **المرآة** ص٢٦٩/٢٩٣.

(٢) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (١٦، ٢٠م)، ج١، ط٢، المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٥ ص ٢٣١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

(٤) يعود تأسيسها إلى ما قبل العهد العثماني، وهي أكثر ثروة تملك ٨٤٠ منزل، ٢٥٨ دكانًا، ٣٣ مخزنًا، ٥٧ بستانًا... تمثل تقريبًا ثلاثة أرباع الأوقاف العامة وتدير بعض الأوقاف المحلية سواء كانت مالكية أو حنفية، لتفاصيل أكثر انظر: أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع.

(٥) أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٦) نفسه ص ٢٤٣.

(7) Davoux fils, les edifices religieux de l'ancienne Alger,in R.A ,T 6, 1862, P. 372.

(8) Brosse lard, les inscriptions arobes de Tlemcen, in. R.A, T5, 1861, P.323.

(٩) أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٦١.

(١١) المرجع نفسه، ص ٢٦٣.

(١٢) المرجع نفسه، ص٢٦٣، ٢٦٤.

(13) Féraud, L, Note sur Bougie, Lége,des, Tradition, Domination, Turque, in R.A, T3, 1859, P.302.

(١٤) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٦٧، ٢٦٨.

(١٥) المرجع نفسه، ص٢٧٤.

(١٦) كان حاكمًا عامًا للجزائر من نوفمبر ١٨٦٠ إلى ماي ١٨٦٤.

(17) Rinn (L), note sur l'instruction Publique Musulmane en Algérie, Alger 1882, P10

(١٨) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٧٦.

(19) Venture de Paradis, Alger au 18 eme siècle 2eme édition, édition Bouslama, Tunis, P 158

(٢٠) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٧٧.

(٢١) المرجع نفسه، ص٢٧٩.

(٢٢) المرجع نفسه، ص٢٨٢.

(٢٣) المرجع نفسه، ص٢٨٤.

(٢٤) المرجع نفسه، ص٢٨٥.

(٢٥) أبوراس الناصر (فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم ٢٢٦٣، ٢٣٣٢.

(٢٦) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٨٦.

(٢٧) المرجع نفسه، ص٣٢٣.

(٢٨) عبد القادر حلوش، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ١٨٧١-١٩١٤**، رسالة لنيل الماجستير، دمشق ١٩٨٥ ص ٨.

(٢٩) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٣٢٩.

(30) E, Foumestraux : L'instructuon puplique en Algérie de 1830-1880, P. 31.

(٣١) أبو القاسم سعد الله، نفس الرجع، ص٣٣١.

(٣٢) المرجع نفسه، ص٣٣٣.

(٣٣) عبد القادر حلوش، نفس المرجع، ص٩.

(٣٤) أبو القاسم سعد الله، ص٣٣٦.

(٣٥) محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري (١٧٩٢-١٨٣٠)**، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٤، ص٤٩.

(٣٦) شالر وليام، **مذكرات وليام شالر (قنصل أمريكا في الجزائر)، ١٨١٦-١٨٢٤**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ١٩٨٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص٨٢.

(٣٧) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٣٣٩.

(٣٨) المرجع نفسه، ص٣٤٠.

(٣٩) عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص١١.

(٤٠) المرجع نفسه، ص١٢.

(٤١) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٨٦.

(42) Francie Laloe, les manuscrits Arabes de Constantine in R.A N°66, 1925, P109.

(٤٣) المقصود بالمكتبات العامة هي تلك التي كانت ملحقة بالمدارس والمساجد والزوايا أما الخاصة فهي التي كان يملكها الأفراد والعائلات.

(٤٤) عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص١٣.

(٤٥) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٤٦) وليام شالر، المرجع السابق، ص٥٧.

(٤٧) المرجع نفسه، ص٥٨.

(٤٨) المرجع نفسه، ص٥٩.

(٤٩) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٣٤٦.

(٥٠) عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص٧.

(٥١) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٣٤٩-٣٥٠-٣٥١.

(٥٢) المرجع نفسه، ص٣٥٣.

(٥٣) المرجع نفسه، ص٣٥٤.

(٥٤) المرجع نفسه، ص٣٥٦-٣٦٠.